دراسة أسلوبية في خطب الإمام السجاد عليه السلام - خطبته في الشام أنموذجاً

الأستاذ المساعد الدكتور
عاطي عبيات
جامعة فرهنگيان رسول الأكرم صلى الله عليه وآله - الأهواز
Ati.abiat@yhoo.com

ملخّص:

لا جدال بأنَّ قريش أفصح العرب وبلغتهم نزل القرآن وأفصح قريش هم بني هاشم، وأفصح من بني هاشم رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده أمير المؤمنين علي بن أبي طلب عليه السلام وأولاده المعصومين بداء من الإمام الحسن عليه السلام ووصولاً إلى المهدي المنتظر (عج) ومن جملة ذرية النبي والذي شغل الناس قديماً وحديثاً بذكر فصاحته واساليبه الأدبية والبلاغية، هو الإمام السجاد عليه السلام والذي يعتبر سنداً وركيزة من ركائز تخليد الثورة الحسينية ومحي جديد للرسالة السماوية بعد ما حاولت السلطة الأموية بزعامة معاوية وابنه يزيد الطاغية طمسها، لذلك انبري الإمام السجاد عليه السلام بعد حادثة كربلاء في التصدي بكل حزم لتلك الممارسات اليائسة والفاشلة. فاتخذ من الخطب والدعاء والنجوى سلاحاً حاداً يقض مضاجع الأعداء، فكانت خطبته الشهيرة في مجلس يزيد الطاغية في شام بمثابة زلزال مدوي هدّم اركان سلطان بني أمية بينما كان العدو اللدود يهلهل بنشيد النصر ويهزّ بسيوف الجور فخراً.

فمن الناحية الأدبية كان الإمام يمتلك ناصية أدب الدعاء والنجوى، وبهذا الأسلوب الرائع استطاع أن يهزّ المشاعر، ويكشف الحقيقة، مما جعل يزيداً يخضع لكل مطالب الإمام في الرجوع إلى المدينة وإنهاء عملية السبي. فالطريقة الأدبية التي اتخذها كانت أسلوباً مبتكراً في إيصال الفكر الإسلامي والمفاهيم الإسلامية الأصلية إلى القلوب الضمآء، والأفئدة التي تهوي إليها لتقتطف من ثمراتها، وتنهل من معينها، فكانت بحق عملية تربوية نموذجية رائعة استلهم الإمام جوانبها من سِير الأنبياء وسنن المرسلين. وهذه الدراسة عبر المنهج التحليلي بصدد دراسة أسلوبية لخطبة الإمام السجاد عليه السلام في الشام علي المستوى الصوتي والتركيبي، في محاولة لفهم القوة الأدبية الكامنة في هذه الخطبة وبيان مدي تأثيرها في إيقاظ الوعي المعرفي وتحفيز عواطف المتلقي تجاه ما حدث في كربلاء وما تمخض من تبعات وخيمة علي الصعيد

السياسي والاجتماعي والأخلاقي.

الكلمات الرئيسية: الأسلوبية، خطبة الإمام السجاد عليه السلام، الأسلوب والأسلوبية، المستوى الصوتي، المستوى التركيبي.

المقدمة:

ولد الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في سنة ثمان وثلاثين للهجرة، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين. وعاش سبعة وخمسين سنة تقريباً، قضي ما يقارب سنتين أو أربع منها في كنف جدّه الإمام عليّ عليه السلام، ثمّ ترعرع في مدرسة عمّه الحسن وأبيه الحسين عليهما السلام سبطي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وارتوي من نمير العلوم النبوية، واستقي من ينبوع أهل البيت الطاهرين. برز علي الصعيد العلمي إماماً في الدين ومناراً في العلم، ومرجعاً لأحكام الشريعة وعلومها، ومثلاً أعلي في الورع والعبادة والتقوي، واعترف المسلمون جميعاً بعلمه واستقامته وأفضليّته، وانقاد الواعون منهم إلى زعامته وفقهه ومرجعيّته.

وقد اتّخذ الإمام زين العابدين عليه السلام بعد استشهاد أبيه الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء من الدعاء والخطب أساساً لدرء هذا الخطر الكبير (الخطر الأموي) الذي ينخر في الشخصية الإسلامية ويهزّها من داخلها هزّاً عنيفاً ويحول بينها وبين الاستمرار في أداء رسالتها. فالبحث الذي نحن بصدده هو دراسة أسلوبية في منهج خطب الإمام السجاد وعلي رأس هذه الخطب خطبته في دمشق. فالأسلوبية كما عرّفها الباحثون هي علم تتعرض للجانب اللغوي من الكلام وتتناول الجانب البلاغي والتركيبي والمستوي اللساني وغير ذلك فهي علم يدرس من خلاله تناسق العناصر المؤلفة للكلام فضلاً عن دراسته لوظائف العناصر(منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية: ٩٦) فالأسلوبية كما يقال هي جملة الصيغ اللغوية التي تعمل على إثراء القول وتكثيف الخطاب وما يستتبع ذلك من بسط لذات المتكلم وبيان التأثير على السامع. وتكمن أهميتها في قدرتها علي معرفة مختلف أدوات التعبير وفي إحداث نموذجاً للأساليب البيانية. فأورد الإمام السجاد في خطبه ومنها خطبته الشهيرة في دمشق تلك العناصر اللبيانية التي تشد جسم الكلام شدّاً وتعمل علي اقناع السامع بوسائل متعددة ليصبح أسيراً لموقف الخطيب كما يقال، فهي تعتبر نظام كامل من الوسائل الاقناعية. ففي هذه الدراسة نحن بصدد معالجة أهم العناصر الأسلوبية في خطبة

الإمام السجاد عليه السلام والعمل علي بيان أثرها علي المتلقي وبيان مكانة الإمام الأدبية.

٣ـ الأسلوب والأسلوبية

العمل الأدبي هو رسالة موجهة من المنشيء إلى المتلقي، تُستخدم فيها النظام اللغوي المشترك فيما بينَهما. يقتضي ذلك أن يكون كلاهما علي علم بمجموعة الأنماط والعلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تكوِّن نظام اللغة المشتركة، وهذا النظام يلبِّي متطلبات عملية الإتصال بين أفراد الجامعة اللغوية. إذن في جامعة لغوية واحدة، ما الذي يميز المنشيء باستعماله الخاص من اللغة المشتركة أو بأسلوبه عن سواه؟ ـ يري بعض الباحثين أنَّ اللغة هي عبارة عن قائمة هائلة من الإمكانات المُتاحة للتعبير ومن ثمَّ فإنَّ الأسلوب يمكن تعريفه بأنّه اختيار أو انتقاء يقوم به المنشيء لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين، ويدل هذا الاختيار أو الانتقاء علي إيثار المنشيء وتفضيله لهذه السمات علي سمات أخرى بديلة. ومجموعة الاختيارات الخاصة بمنشيء معين هي التي تشكل أسلوبه الذي يمتاز به من غيره من المنشئين[١]. ولا شك أنَّ مجموعة الاختيار أو الانتقاء لسمات لغوية معينة يمكننا أن نعبِّر عنها بالأسلوب[٢]، تعود إلى الفكرة والنَّزعة الخاصة في التفكير لدي المنشيء وهذا مما يدل علي العلاقة الوثيقة فيما بين الأسلوب والفكرة أو المعني. يقول الدكتور أحمد الشايب تأييداً لذلك: ((أن الأسلوب معانٍ مرتَّبة قبل أن يكون ألفاظًا منسَّقة، وهو يتكون في العقل قبل أن ينطق به اللسان أو يجري به القلم))[٣]. اِستنتاجاً لذلك يمكننا القول، أنَّ الصورة اللفظية التي هي حصيلة الإختيار أو الانتقاء لسمات لغوية معينة والتي الصحيح أن يطلَق عليها بالأسلوب، كلَّما زاد حصَّتُها من الرصانة والمتانة والقوة في التعبير، فذاك يدُلُّ علي مدي رُقي الفكرة وسموّ المعني لدي صاحبها وعكس ذلك واضح. فعلي هذا لا نستبعد إذا قلنا أنَّ كلمةَ الأسلوب تكاد ترادف كلمة الشخصية في المعني.

الأسلوبية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالدراسات النقدية والبلاغية واللغوية[٤] وقد ظهرت علي أنَّها منهج نقدي في بدايات القرن العشرين وكان ذلك ناتجا عن تطور الدراسات اللغوية الحديثة[٥] يطلق علي هذا المصطلح في الإنجليزيةstylistics وفي الفرنسية stylisticque[٦]. الأسلوبية أم علم الأسلوب بحث علمي للطرائق المستعملة في التعبير عن

الفكرة أو المعني، أو بعبارة أخرى بحث علمي يدرس الأسلوب؛ وهو يختلف في موضوعه عن دراسة اللغة، لأنَّ هذه تقتصر علي تأمين المادة التي يعمد إليها المتكلم أم الكاتب ليفصح بها عن فكرته أمَّا الأسلوبية فهي ترشدنا إلى الإختيار ما يجب أخذه من هذه المادة للتوصل إلى نوع معين من التأثير في السامع والقارئ، شريطة احترام ما اتفق عليه العلماء من مدلولات لفظية، وقواعد صرفية ونحوية وبيانية.

توسَّع مفهوم العصري للأسلوبية، فشمل كلَّ ما يتعلق باللغة من أصوات وصيغ وكلمات وتراكيب وتداخل مع علم الأصوات والصرف واللّفاظة والدَّلالات والتراكيب وكلُّ ذلك لتوضيح الغاية منها وإرساء مبادئها ومناهجها في سبيل تحسين الإبانة عن الخواطر والانفعالات والصور وبلوغ أقصى درجات التأثير الفني(٧).

إذاً فالأسلوبية (تتجاوز مجرد نقل المعني إلى عمق الاستعمال اللغوي المتمثل في وضع الكلمات في أنساق معينة وكيفية انتظامها، وانتظام الجمل والمفردات، ورسم الصور، وانتظام ذلك كله مع المعني، فالكلمة هي مادة التشكيل الفني لدي الأديب.)(٨).

فمن هنا تأتي أهمية اللغة في فهم النص الأدبي في الدراسات الأسلوبية؛ فهي الأداة التي يستخدمها المنشيء في تشكيل مادَّته الفنية تشكيلاً يعكس الأفكار والمشاعر إلى المتلقي، سواء بادية أم كامنة؛ فيفضي عليها بذلك ملامح جديدة وأبعاداً مختلفة تميزه عن سواه. وعلي هذا الأساس، فسوف تكون أداتنا الأولي في دراستنا الأسلوبية هذه، هي اللغة التي اخترنا في هذه الدراسة أن نستعد لدراستها معتمدين علي مستويين لغويين: الصوتي والتركيبي سعياً للكشف من خلالهما عما يسكن خلف ستار الصورة المرئية لنص الخطبة ووصولاً إلى الخصائص الأسلوبية في الخطبة من خلال نافذتي الصوتية والتركيبة التي قد منحتها الصورة الفنية المائزة عما سواها.

٣- تطبيق المستوى الصوتي والمستوي التركيبي في خطبة الإمام السجاد عليه السلام في مجلس ((يزيد)).

٣-١. المستوى الصوتي في خطبة الإمام السجاد عليه السلام في مجلس ((يزيد))

لا ريب أنَّ الدراسة الصوتية تقع في صميم دراسة النصوص الأدبية، لأنَّ التحليل

الأسلوبي لهذه النصوص يساعد كثيراً في فهم طبيعتها، وفي الكشف عن الجوانب الجمالية فيها بالإضافة إلى ما فيه من كشف الانفعالات النفسية والعواطف التي تحكم مبدعها، والتي تدفعه إلى اختيار أصوات وإيقاعات بعينها و(ليس يخفي أنَّ مادَّة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأنَّ هذا الانفعال بطبيعته إنَّما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مداً أو غُنَّة أو ليناً أو شدَّة.)[٩] وليس يخفي ارتباط مستويات اللغة المختلفة ببعضها وتعتبر دراسة مستوى الصوتي الخطوة الأولي لدراسة المستويات الأخرى، فعلي سبيل المثال، لا يمكن دراسة الصرف دراسة صحيحة إلاَّ بالاعتماد علي الوصف الصوتي)[١٠].

من المعروف أنَّ الكلمة تنتهي في أبسط عناصرها إلى ((الصوت اللغوي))[١١]. الصوت اللغوي هو الأثر السمعي الحاصل من احتكاك الهوا بنقطة ما من نقاط الجهاز الصوتي.[١٢] ووصف الصوت بأنَّه لغوي، حتى لا يختلط بالأصوات غير لغوية التي تصدر عن الكائنات غير الإنسان. فما يسمي بمواء القطط ونباح الكلاب وعواء الذئاب وصهيل الخيل... ليس من اللغة في شيء. فالكلمة إذن لا تتكون إلا من أصوات لغوية بالمعني المصطلح عليه[١٣]. لقد صنف علماء اللغة العربية أصوات الحروف في مجموعات كثيرة، تارة بحسب مخارجها وتارة بحسب كيفية النطق بها وتارة ثالثة بحسب سهولة أو صعوبة النطق بها وما إلى ذلك، إلاَّ أنَّنا سنكتفي منها جميعاً بثلاثٍ:

١- الأصوات الصامتة[١٤]والصائتة[١٥]: الأصوات الصامتة هي جميع الحروف الهجائية، باستثناء الصائتة. والأصوات الصائتة هي (الألف، الواو، الياء). ويقال لها تارة حروف اللين[١٦].

٢- الأصوات المجهورة والمهموسة: الأصوات اللغوية التي تصدر بطريقة ذبذبة الوترين في الحنجرة تسمي بالأصوات المجهورة[١٧] الأصوات المجهورة في اللغة العربية فهي: (ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن)[١٨] والأصوات المهموسة هي التي لا تهتز معها الوتران الصوتيان ولا يسمع لهما رنين حين النطق بها. الأصوات المهموسة في اللغة العربية فهي: (ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، هـ)[١٩].

٣- الشدة والرخاوة وما بينهما: الشدة في المعني اللغوي تقف عند كلمة الصلابة[٢٠] بينما عند معني الاصطلاحي تنطبق علي عملية حبس الهواء الخارج من الرئتين

حبساً كاملاً في موضع من المواضع ومن ثم إطلاق سراح المجري الهوائي بشكل فجائي بعد أن ضغط الهواء من خلال حبسه[٢١]. الأصوات التي تحدث من خلال هذه العملية تسمي بالأصوات الشديدة. استعمال مصطلح (الشدة) يعد من الاستعمالات الشائعة في كتب علماء اللغة القدماء، أما المحدثون فقد انصرفوا عن استخدام مصطلح ((الشدة)) انصرافاً شبه تام، واستبدلوا مصطلحاً شائعاً الآن في كتب المحدثين وهو مصطلح ((الإنفجارية))[٢٢]. اطلاق مصطلح ((الإنفجاري))[٢٣] علي هذه الأصوات يعود لانفصال الفجائي للأعضاء التي تحدثها، حتى إذا انفصلت فجأة، حدث الصوت كأنّه انفجار؛ وذلك كالإنفراج الفجائي في صوت الباء[٢٤]. الأصوات الإنفجارية في اللغة العربية فهي: (ب، ت، د، ط، ض، ك، ق، أ)[٢٥]. والحروف الرخوة[٢٦] هي التي لا ينحبس فيها النفّس. وهي مرتبة بحسب درجة رخاوتها: (س، ز، ص، ش، ذ، ث، ظ، ف، هـ، ح، خ) ويسميها الدكتور بشير بالحروف الاحتكاكية[٢٧]. كما يضيف إليها حرفي (ع،غ)[٢٨] وأما الحروف المتوسطة بين الشدة والرخاوة فهي: (ر، ع، ل، م، ن)[٢٩].

بعد نظرة سريعة علي الصوت اللغوي ودراسة بعض أنماطه، نتقدم بدراسة المستوى الصوتي في خطبة الإمام عليه السلام بناءً علي ثلاثة ملامح صوتية؛ الإنفجار، الجهر والهمس مع اهتمام بالأصوات اللّين، معتمدين في ذلك علي توظيف المنهج الإحصائي الذي نقوم من خلاله بإحصاء الأصوات في النص بغرض تجلية السمات الأسلوبية في المستوى الصوتي سالكين في ذلك الطرق التحليلية بناءً علي الإيحاءات الصوتية كشفاً عن جماليات النص وإعانة القارئ علي لمس ما لم يظهر في الأغلب إلّا بعد الوقوف الطويل والتثبط.

ألف ـ الأصوات الإنفجارية: توزّع ورود الأصوات الإنفجارية في خطبة الإمام السجاد عليه السلام حسب الجدول كما يلي:

الصوت	عدد مرات تواتره	عدد الاستعمال بالفتح	عدد الاستعمال بالضم	عدد الاستعمال بالكسر	عدد الاستعمال بالسكون	عدد الاستعمال بالتشديد	عدد الاستعمال بالتنوين
أ	٨٣	٦٢	٥	٩	٧	-	-
ب	٨٨	٢٢	٤	٢٦	٣١	٣	٢
ت	٣٨	٢٤	٣	٧	-	٤	-
ط	١٨	١٠	٢	٤	٢	-	-

ض	٨	٥	-	١	-	٢	-
ق	٢٣	١٢	٣	٦	٢	-	-
د	٢٨	١٠	٢	٩	٤	٣	-
ك	١٨	٦	-	٤	٥	٣	-
المجموع	٣٠٤	١٥١	١٩	٦٢	٥١	١٥	٢

ب. الأصوات المجهورة: توزّع ورود الأصوات المجهورة في خطبة الإمام السجاد عليه السلام حسب الجدول كما يلي:

الصوت	عدد مرات تواتره	عدد الاستعمال بالفتح	عدد الاستعمال بالضم	عدد الاستعمال بالسكون	عدد الاستعمال بالتنوين	عدد الاستعمال بالتشديد	عدد الاستعمال بالتنوين
ر	٦٩	٢٨	٦	٢٣	٧	٢	٣
م	١١٤	٤٧	٢٣	٢٧	١٠	٣	٤
ن	١٤٦	٥٦	٣٠	٢١	٢٥	١	١٣
ب	٨٨	٢٢	٤	٢٦	٣١	٢	٣
د	٢٨	١٠	٢	٩	٤	-	٣
ذ	٣	٢	-	-	١	-	-
ج	١٦	١١	-	٣	١	١	-
ض	٨	٥	-	١	-	٢	-
ط	١٨	١٠	٢	٤	٢	-	-
ع	٣٧	٢٢	١	٨	٥	١	-
غ	١	١	-	-	-	-	-
ز	٥	٣	-	١	١	-	-
ل	١١٣	٢٢	٢	١٧	٥٨	١	١٣
المجموع	٦٤٦	٢٣٩	٧٠	١٤٠	١٤٥	١٣	٣٩

ـ الأصوات المهموسة: توزّع ورود الأصوات المهموسة في خطبة الإمام السجاد عليه السلام حسب الجدول كما يلي:

الصوت	عدد مرات تواتره	عدد الاستعمال بالفتح	عدد الاستعمال بالضم	عدد الاستعمال بالكسر	عدد الاستعمال بالسكون	عدد الاستعمال بالتشديد	عدد الاستعمال بالتنوين
ت	٣٨	٢٤	٣	٧	-	٤	-
ث	٦	١	٢	٢	١	-	-
ح	٣٧	١٨	٦	٨	٤	-	١
س	٤١	١٦	٥	٧	٩	٤	-
ش	١٤	١٠	١	١	٢	-	-
ص	١٦	٧	-	٣	٣	٣	-
ط	١٨	١٠	٢	٤	٢	-	-
ف	١٧	١٠	١	٣	٣	-	-
ق	٢٣	١٢	٣	٦	٢	-	-
ك	١٨	٦	-	٤	٥	٣	-
هـ	٢٥	١٣	٣	٧	٢	-	-
المجموع	٢٥٣	١٢٧	٢٥	٥٢	٣٣	١٤	١

تشير الجداول السابقة لنا أنَّ النظام الصوتي في خطبة الإمام عليه السلام جاء متنوعاً وحاوياً علي تشكيلات صوتية متباينة صفةً ومخرجاً وفي استنطاقنا لهذه الجداول والأرقام برزت لنا حقائق من أعماق الخطبة وهي علي النحو التالي:

يتعلق الجدول الأول بالأصوات الإنفجارية حيث بلغ عدد انتشارها في النص ٣٠٤ مرة وهي كمية صوتية تتطلب جهداً صوتياً عالياً ونفساً طويلاً لنطقها رغم دونها من أنواع الأصوات؛ حيث تتكون الوقفات الإنفجارية بقطع النظر عن اللغة المعينة، بأن يحبس مجري الهواء الخارج من الرئتين حبساً تامّاً في موضع من المواضع وينتج عن هذا الحبس أو الوقف أن يضقط الهواء ثم يطلق سراح المجري الهوائي فجأة، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً. فهذه الأصوات باعتبار الحبس أو الوقف يمكن تسميتها ((بالوقفات)) (stops)ولكنها باعتبار الانفجار قد تسمى الأصوات الانفجارية (plosives)[٣٠]

السبب في هذا التواتر الكبير في الأصوات الإنفجارية بوصفها المائز في خطبة الإمام السجاد عليه السلام، تدلُّ علي تواجد فسحة رحيبة للمعاني الراقية وبالغة الأهمية في الخطبة، حيث تستوجب انتشار الأصوات الإنفجارية في النص بتواتر كبير ومُلِح؛ وذلك لما تمتاز هذه النوعية من المادة الصوتية بالميزانية الكبري من القوة في شخوص المعاني الراقية والمهمة وبروزها في النص كما يليق.

من الملاحظ علي الجدول الأول المتكوِّن من الأصوات الإنفجارية، أنَّ الصوت الباء طغي علي بقية الأصوات الإنفجارية، إذ بلغ عدد تواتره في النص ٨٨ مرة وجاء ذلك مناسباً لأغراض الخطبة؛ وعلى الأغلب أنَّ هذا الانتشار جاء ضرورياً لسياق الفخر بالحسب النسيب الذي يشكل المحور الرئيسي للخطبة المعنية.

يقول الدكتور إبراهيم أنيس أنَّ صوت الباء (صوت شديد مجهور. يتكوَّن بأن يمر الهواء أولا بالحنجرة، فيحرك الوترين الصوتين، ثمّ يتخذ مجراه بالحلق ثمَّ الفم حتى ينحبس عند الشفتين منطبقتين انطباقاً كاملاً. فإذا انفرجت الشفتان سمعنا ذلك الصوت الإنفجاري الذي يسمي بالباء. فللنطق بالباء تنطبق الشفتان أولاً حين انحباس الهواء عندهما، ثم تنفرجان فيسمع صوت الباء)[٣١].

فطرية اللغة العربية، هي نظرية لغوية التي تعتقد علي أنَّ معني كل كلمة عربية هو بالضرورة محصلة معاني الحروف التي تشارك في تركيبها[٣٢]، وأنَّ معاني الحروف العربية هي صدي صوتها في الوجدان، أو النفس[٣٣]. وعلي هذا تقوم هذه النظرية بإرساء مبادئها علي أنَّ أصول اللغة العربية قد اقتبست مباشرة من الطبيعة وليست مجرد مصطلحات عقلية قد تواضع الناس علي معاني الفاظها[٣٤].

فإذا أردنا اتباع هذه النظرية اللغوية ومن ثمَّ القيام باستجداء إيحاءات الصوتية لحرف الباء عبر طريقة الإستبطان، نجد أنَّ صوت الباء يوحي بعدّة معانٍ كالإنبثاق، الظهور، الإنفراج، الإتّساع والشَّق؛[٣٥] ذلك ممَّا يوافق خصائصه الصوتية ويحاكي خروج صوت الباء من بين الشفتين بعد الإنطباق والإنفراج.

((أَنَا ابنُ مَن بَلَغَ بِهِ جِبرَئِيلُ إلى سِدرَةِ المُنتَهَي)) هذه العبارة من العبارات التي قد استخدم فيها صوت الباء بصورة واضحة. فتجلَّي صوت الباء في هذه العبارة واضحاً من خلال تواتره ٤مرات وجاء هذا التواتر مناسباً للفخر والإعتزاز بالإنتماء إلى العلوِّ الأعلى، النبي الأكرم صلى الله عليه وآله واهل بيته، ذلك لأنَّ الفخر من معانٍ تلتمس القوة في التعبير الفظي وأنَّ صوت الباء من حيث أنَّه صوت إنفجاري شديد، فلديه ما يكفي من القوة للتساهم في التعبير عن مفهوم الفخر كما يجدر. لا يخفي علي المتأمِّل أنَّ تكرار صوت الباء وإعادة خصائصه النطقية بفواصل قريبة؛ أي ضغط الشفة علي الشفة بشيء من الشّدة حبساً للنفس ومن ثمَّ انفراجهما الفجائي عن بعضهما البعض بشيء من الإنفجار، إستطاع أن يصور عظمة المشهد من حيث أنّه ليس ممَّا تعتاد عليه الحياة البشرية والحقيقة إن هو إلاَّ فضل من الله سبحانه قد شرفه به النبي الأكرم. ولا نبعد إذا قلنا أنَّ صوت الباء في هذه العبارة قد عاضد علي شخوص مضمون التباهي وبروز إحساس الإمام عليه السلام بالفخر الكبير للإنتماء إلى خير حسب ونسب علي الإطلاق بغرض إثارة نفوس الهامدة وتجييش العواطف السليمة في نفوس السامعين، الذين طُوِي في طومار الغفلة منذ أمدٍ بعيد.

نظراً إلى مضمون الفخر في هذه العبارة ونظراً للإيحاءات الصوتية لحرف الباء وتكراره، لا نبعد إذا قلنا أنَّ هذه العبارة رغم التعبير عن الفخر بانتماءِ الإمام السجاد عليه السلام إلى خاتم الأنبياء، محمد المصطفى صلى الله عليه وآله، الأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، السيدة فاطمة الزهراء، الإمام

الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام،الذين أضاءوا الدنيا بنور توحيدهم وإيمانهم العميق بالله تعالى، تتضمَّن معني "التأكيد" علي مدي هذا الإعتزاز الفريد وفسحته الرحيبة التي لا يدري أين منتهاه.

فاق توتُّر الأصوات المجهورة علي الأصوات المهموسة، إذ بلغ تواتر الأصوات المجهورة ٦٤٦ مرة، في مقابل ذلك نجد تواتر الأصوات المهموسة بلغ ٢٥٣ مرة وفي ذلك تفاوت واضح بين هذه الأصوات، ما يوافق محتويات الخطبة، ونظراً لأغراضها وموضوعاتها التي جاءت للفخر بالحسب النسيب والعاطر والتَّباهي علي أعداء رسول الله عليه السلام وأهل بيته وذكر النبي الأكرم عليه السلام ومقامه السامي وذكر مواقفه الفريدة من نوعها التي لم يتشرف بها من أنبياء الله سوي النبي الأكرم عليه السلام، وذكر أمير المؤمنين، الإمام علي عليه السلام وعلوِّ مقامه ومواقفه الشجاعة والبطولية في محاربة الأعداء ومناصرة الدين.

كان لصوت النون الانتشار الواضح، إذ بلغ تواتره ١٤٦ مرة وهو من أكثر الأصوات وروداً في الخطبة. يقول الدكتور إبراهيم أنيس أنَّ (النون صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة. ففي النطق به يندفع الهواء من الرئتين محركاً الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولاً حتى إذا وصل إلى أقصى الحلق هبط أقصى الحنك الأعلى فيسد بهبوطه فتحة الفم ويتسرب الهواء من التجويف الأنفي محدثاً في مروره نوعاً من الخفيف لا يكاد يسمع فهي كالميم تماماً غير أنَّه يفرق بينهما أنَّ طرف اللسان مع النون يلتقي بأصول الثنايا العليا)[٣٦]. وعن إيحاءاتها الصوتيه يقول الدكتور حسن عباس: (أنَّ صوت النون إذا لفظ مخَفَّفاً مُرقَّقاً أوحي بالأناقة والرقة والإستكانة، وإذا لفظ مشدداً بعض الشيء. أوحي بالانبثاق والخروج من الأشياء، تعبيراً عن البطون والصميمية، أما إذا لفظ بشيء من الشدة والتوتر، فلابد لموحياته الصوتية أن تتجاوز ظاهرة الإنبثاق العفوية، إلى النفاذ القسري والدخول في الأشياء، وإذا لفظ بشيء من الخنخنة (إخراج الصوت من الأنف). أوحي بالنتانة والخِسَّة. وإذن فإنَّ موحيات صوت هذا الحرف ومعانيه تتغير بحسب كيفية النطق به، فهو يوحي تارة بالحركة من الداخل إلى الخارج، وهو الانبثاق، كما يوحي تارة أخرى بالحركة من الخارج إلى الداخل، وهو النفاذ في الأشياء.

((وفُضِلنَا بِأنَّ مِنَّا النَّبِي المُختَارَ مُحَمَّداً)) من الملاحظ أنَّ صوت النون عبر تواترة ٤ مرات وظهوره بشكل مشدَّد قد استخدم بصورة واضحة وجلية في هذه العبارة. فالنون صوت أسناني لثوي مجهور[٣٧]؛ إستطاع بتكراره وتكرار المعني الإيحائي أي البطون والصميمية والنفوذ إلى الداخل، أن يصوّر في أذهان السامعين ذَوَبان هذا الفضل وانصهاره حصرياً في أهل بيت. وكذلك معناه الإيحائي الذي كاد أن يلمَس من كثرة تكراره، إستطاع أن يلقي إلى السامعين بحقيقة تواجد ثمَّة نسبة دموية فيما بين أهل البيت والنبي المختار محمد المصطفي عليه السلام، التي كان يسعي الإمام السجاد عليه السلام ببيانها بشكل غير مباشر ومن غير اعتماد علي الألفاظ التي تحوي هذا المضمون، ممَّا لهذه الطريقة الحظ الوافر في استقرار المعني وتسرُّبه في النفوس.

فإذا كان صوت النون يتمتع بحضوره الجلي والمائز في هذه العبارة فإنَّنا لا يمكننا تجاهل حضور الألف اللينة المتكررة ٤ مرات في العبارة ودورها الفعال في انتقال المعاني الدقيقة. عند النطق بالأصوات اللين؛ أي((الف، واو، الياء)) التي بطبيعتها أطول من الأصوات الساكنة[٣٨] (الأصوات الصامته)؛ يستلزم أن يكون مجري الهوي معها حراً طليقاً وأن تكون فتحة المزمار حين النطق بها منبسطة منفرجة[٣٩]. ففي حصول صوت الألف اللينة الذي يخرج الهواء عند النطق به حراً طليقاً، يخرج الصوت من جوف الفم مع حركة انفتاح الفكين وارتفاع الرأس إلى أعلي، فيوحي صوتها بالامتداد إلى الأعلى[٤٠].

في هذه العبارة الألف اللينة نظراً إلى خصائصها الصوتية، إستطاعت أن تكون خير عاضدٍ في انتقال مدي سموّ الفضل المَعنِي في هذه العبارة وعلوّه الأعلى إلى السامعين ومن ثمَّ استطاعت الخصيصة الصوتية أي حركة الصعود من التحت إلى الفوق أن تفرز الكمية الكبري من الأثر البالغ في العبارة بغاية إثارة وإنهاض عواطفهم الهامدة في نفوسهم؛ كلَّما نُطِقَ بصوتها المُمتَد إلى الأعلى وكلما تكرّرت تلك الحركة الإيمائية.

فإذا كان للأصوات الانفجارية والأصوات المجهورة السهم الوافر في شخوص المعاني وبروزها، فلا يمكننا أن نتجاهل حضور الأصوات المهموسة وقيامها ببعض المهمات المعنائيية

الجملات والعبارات التي حوت حروف المهموسة في خطبة الإمام السجاد عليه السلام كثيرة؛ ومن أبرز الأصوات المهموسة التي ظهرت في الخطبة، صوت السين الذي بلغ عدد تواتره

في الخطبة ٤١ مرة وكان ذلك واضحاً في هذه العبارة: ((وفُضِّلنَا بِأنَّ.... منَّا أَسَدُ اللهَ وأَسَدُ رَسُولِه))[٤١].

وردت السين في هذه العبارة ٣مرات وتكررت بفواصل قريبة ممَّا جعل أن يبرز صوت السين في العبارة بوضوح. السين صوت رخو مهموس؛ عند النطق به يندفع الهواء ماراً بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يأخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج وعند التقاء طرف اللسان بالثنايا السفلي أو العليا بحيث يكون بين اللسان والثنايا مجري ضيق جداً يندفع خلاله الهواء فيحدث ذلك الصفير العالي. قيل أنَّ الأصوات التي يسمع لها صفير فهي: (ث. ذ. ز. س. ش. ص. ظ. ف). تختلف هذه الأصوات في نسبة وضوح صفيرها وأعلاها صفيراً هي **السين والزاي والصاد.**

إذا تأملنا العبارة النموذجية من الخطبة ووقفنا عندها وقوف المدقق الصبور، رأينا أنَّ صوت السين بتواتره الثلاثي وحضوره القوي من خلال تكراره بفواصل قريبة ومن ثمَّ تكرار جرسه الصوتي الرائع أي صفيره الحاد العالي، أنَّه قد نجح في أن يصوّر ببراعة وبشكل رهيف، حدّة حمزه وشجاعته في محاربة أعداء الله ورسوله ومواجهتهم كالسيف الحادّ.

٣- ٢. المستوى التركيبي في خطبة الإمام السجاد عليه السلام في مجلس ((يزيد))

المستوى التركيبي يستنبط من خلال الجملة المنطوقة او المكتوبة علي المستوى التحليلي او التركيبي ويطلق علي هذا النوع من الدلالة، الوظائف النحوية او المعاني النحوية.[٤٢]وعلم الاسلوب يري في هذا المستوى عنصرا هاما في البحث الخصائص المميزة لنصٍ ادبيٍ ما وهو في الاغلب يتوجه إلى بحث العناصر التالية:

دراسة طول الجملة وقصرها دراسة اركان التركيب كالمبتدأ والخبر، الفعل والفاعل، والعلاقة بين الصفة والموصوف والاضافة والصلة وغير ذلك ـ دراسة ترتيب التركيب لأن تقديم عنصر أو تأخيره يؤدي إلى تغيير الدلالة ولان الاديب لا يلتزم دائما بالقواعد الترتيب العامة التي يرصدها اللغوين، دراسة **الروابط** كبحث استعمال الواو، الفاء، ثم، اذن وانعكاسات ذلك علي الاسلوب، دراسة الفصائل النحوية كالتذكير والتأنيث، التعريف والتنكير، العدد ودراسة الصيغ الفعلية وتركيباتها والزمن وتتابعه ودراسة البناء للمعلوم

والبناء للمجهول.

وجانب آخر من المستوى يمكن ان يستنبط من المعاني العامة للجمل والاساليب الدالة علي الخبر والانشاء، والاثبات او النفي، والتاكيد والطلب كالاستفهام، الامر، النهي، العرض، التخصيص، التمني، الترجي والنداء والشرط باستخدام الادوات الدالة علي هذه الاساليب(٤٣). وذلك بغرض التوصُّل إلى السمات الأسلوبية في هذا المستوى التي يمكننا من خلالها الكشف عن معانٍ عادةً لا تبدي للقارئ إلاَّ إذا أطلَّ علي النص من نافذة الأدب. في هذا البحث وفقا لتنقيب وامعان النظر في الخطابة حاولنا التركيز علي أهم السمات البارزة في المستوى التركيبي للنص المدروس فجاءت دراستنا لهذا المستوى في ما يلي:

◆ افتتح الإمام السّجاد عليه السلام خطابه **بحرف النداء (ايها)** وهذا اختيار حسن وموفق وفي غاية الدقة يتماشى مع غايته والموقف الذي يسعى إلى التعبير عنه. فأداة النداء كانت وكأنّها سوط يرفع ويهوي علي النفوس الهامدة بغاية إيغاضها وكانت خير عاملٍ في على إثارة السامعين ووعيهم وحملهم على الإلتفات اكثر فأكثر. وثاني اختيار نجده في لفظة ((النّاس)) دون غيرها من الألفاظ؛ فالإمام عليه السلام لا يخاطب يزيد فحسب بل يطلب إقبال كل من كان حاضرا في مجلس يزيد ووجّه كلامه إلى عامة الناس إذ كان لجهل الناس الأثر الكبير في وصول الأمر الى هذه الحالة. فينقل لنا الإمام عبر هذا الأسلوب مجموعة من المدلولات التي تعمل على ايقاظ من طوته الغفلة وتقوم علي توعية الرأي العام.

عند الإحتفال بدراسة سياق الجملة في الخطابة المعنية ظهرت **الجمل الإسمية** بصورة ملفتة للإنتباه وهذا الظهور المكثّف إنّما يبرزه ملمحاً اسلوبياً. إنّ المتتبع لهندسة الجمل في الخطبة يلحظ أنّ الإمام عليه السلام بنى نص خطبته علي الجمل الإسمية ـ التي تتألّف من المبتدأ والخبر أي من مسند إليه ومسند ـ فقلَّما يستعمل الإمام عليه السلام الجمل الفعلية (اعطِينا ستاً وفَضَّلنْا بسَبعْ ـ أشْهدُ أنَّ مُحَمَّدا رسُولُ الله ـ شَهدَ بهِا شَعرْي وبَشَري ولَحْمي ودَمَي). يقول اللغويون إنّ الجملة الإسمية تفيد الثبوت ولعل هذا هو ما نفسر به اختيار الإمام للجمل الإسمية. فإليك أُنموذجاً من الجملات الإسمية التي تَبَوَّأت مَكاناً مكاناً سامياً في البناء الجملي للخطبة.

((أنا ابنُ مَكةَ ومني، أَنا بنُ زَمزَمَ والصَّفا، أَنا ابنُ مَن حَملَ الرُّكنَ بأطرافَ الرِّدا، أنا ابنُ خيرَ مَنِ ائتزر وارتدي، أَنا بنُ خير مَنِ انتعل واحتفي ، أنا بنُ خيرِ من طافَ وسَعي، أنا

خيرُ من حَجَّ ولَبَّي، أنا ابنُ مَن حُملَ علي البراق في الهواء، أنا ابنُ من اسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا بنُ مَن بَلَغَ بِه جبرئيلُ إلى سدرةَ المنتهي،....أنا بن المرتضي، أنا بن من ضربَ خَراطيمَ الخَلقَ حتى قالوا : لا إله إلّا الله....أنا ابنُ فاطمَةَ الزَّهراء، أنا ابن سَيدة النساء، أنا ابن الحسين القتيل بكربلاءَ، أنا بن المرَمَّلَ بالدِّماء)).

فقد حملت لنا الجمل الإسمية هنا معنى الثبات والإستقرار إذ يكنّى ويوحي الإمام من خلالها بأن مكانته وشرفه ثابت لم يتغيرو إن حاول خدشه حكّام الأمويين وغيرهم من الأعداء. إنّ الحقايق أمور ثابتة لا تتغيّر بسهولة فمهما فعل يزيد والعدو اللدود لمحو سمو مكانة اهل بيت النبوّة وخطر شأنهم فإنّه لا يجد إلى ذلك سبيلا فهو كالراقم على الماء. والدلالة الأخرى لطغيان الجمل الإسمية في الخطاب هي استقلاله عن الزمن فالإمامعليه السلام في مقام إشادته بفضائل العترة الطاهرة يعكس حالة الوصف ويستقل عن الزمنو حركيته، ويوحي بأن منزلتهم السامية لا تتوقف في زمن معين فهي سوف تبقى شامخة وعالية إلى مدى العصور على الرغم من محاولات الأعداء. فتكثيف استخدام الجملة الإسمية رغبة من السّجادعليه السلام يتوافق مع الدلالات المقصودة لكونها وصفا لأحداث وموجودات ثابتة.

أما اول ما نلحظه من خلال تقصّينا للجمل الإسمية هو تكرار نفس المبتداء ألا وهو **ضمير المتكلم للوحدة** (أنا) المتواتر في الخطبة في ٢٦مرة. فقد أطنب الإمام في هذا الأسلوب وذلك بهدف اعلان قمة التعظيم والإكبار والفخر والكشف عن تراكماته الشعورية والإنماء عن نفسيته المتألمة في نفس الوقت فلا شك ان الإطناب في فلسفة اللغة من أرقى أساليب البلاغة ومن أروع صورها ووجوهها.

((أنا ابنُ مَن حُملَ علي البراق في الهواء، أنا ابنُ من اسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى،أنا ابنُ مَن بَلَغَ بِه جَبرئيلُ إلى سدرةَ المُنتَهي، أنا ابنُ مَن دَنا فَتَدَلَّي فَكانَ قَابَ قَوسَين أو أدنَي، أنَا ابنُ مَن صَلَّي بِمَلائكة السَّماء....أنَا ابنُ مَن بَكي عَلَيه الجِنُّ في الظَّلماءِ، أنا ابنُ مَن نَاحَ عَلَيهِ الطُّيور فِي الهَواءِ)).

فالملاحظ هنا ميل الإمام إلى التعبير عن فكرة الفخر وعلو الشأن من خلال ضمير المتكلم للفرد و**تأطير خطابه بالإطار الشخصي** فيبلغ تمجيد الذات ذروته بحيث تردد صدي الأنا في النص بوضوح. في التزام الإمام سيد الساجدين عليه السلام بذكر هويّته الشخصية (أنا)

إضافة على التمجيد، حكمة وتدبير سياسيّ واع، إذا لم يكن له في مثل هذا المكان والزمان، أن يتطرّق الى شيء من القضايا الهامّة. لكنّ كلام الإمام لم يكن في الحقيقة إلاّ مليئا بالتذكير والإيماء، التذكير والتنويه بنسبه الشريف، واتصاله بالإسلام، وبرسوله الكريم صلى الله عليه وآله. وقد ذكّر الإمام زين العابدين عليه السلام بكل المواقع الجغرافية، والمواقف التاريخية الحاسمة في الإسلام، وربط نفسه بكلّ ذلك، فسرد ـ وبلغة شخصية ـ حوادث تاريخ الإسلام، معبرا بذلك عن رفضه للواقع السياسي الذي لم يحسن أداء أمانة الخلافة.

من السمات الأسلوبية البارزة الأخرى التي يعمد السجاد عليه السلام إلى توظيفها هي استعماله اسلوب الوصف. بما أن موضوع الخطابة جاء في معرض تعريف الإمام بشخصه وهويته وبالأسرة النبوية وما لها من عظيم الفضل والشأن عند الله تعالى وما قامت به من اعمال جهادية في سبيل احقاق الحق فإنّ اختيار اسلوب الوصف اختيار يتناسب وطبيعة الغرض المراد وذلك لما في الوصف من خصائص اسلوبية توضح الدلالة وتبرزها للمتلقي بصورة وكأنّها لوحة مرسومة بعناية تلخص رؤية الإمام لأصله ونسبه. يصف الإمام حسبه النسيب بحشد هائل من المواصفات الفاضلة:

((أَنَا ابنُ خَيرِ مَ ائتَزَرَ وارتَدي، أَنا ابنُ خَيرِ مَ انتَعَلَ واحتَفَي، أَنا ابن خير مَن طافَ وسَعي، أَنا ابنُ خَيرُ مَن حجَّ ولَبَّي....أَنا ابنُ مَن ضَرَبَ بين يدَي رسول الله بِسَيفَينِ وطَعَنَ بِرُمحَينِ وهاجَرَ الهِجرَتَين وبايعَ البَيعَتَين وقاتَلَ بِبَدرٍ وحُنَينٍ ولَم يكفُر بالله طَرفَةَ عَينٍ....سَمحٌ سَخي، بُهلولٌ، زَكي، أَبطَحي، رَضي، مِقدامٌ هُمَامٌ، صَابِرٌ صَوَّابٌ، مُهذَّبٌ، قَوَّامٌ.... أَسَدٌ بَاسِلٌ.... لَيثُ الحِجَاز، وكَبشُ العِراقِ مَكي مَدَني خَيفِي عَقَبِي، بَدري أُحُدِي، شَجَري، مُهاجِري....)).

إنّ هذا التكثيف في استخدام اسلوب الوصف جاء بغرض توضيح الصفات الخلقية والدينية لأهل بيت النبوّة، ووصف تضحياتهم في سبيل الدين، وعلو منزلتهم ، وعظيم دورهم في بناء الإسلام في نفوس الناس. فكل الصفات التي مرّ ذكرها تجعل منهم مثلا أعلى في الأخلاق وقمة سامقة في الايمان والإصلاح وما شابه ذلك من الصفات التي تضفي الجلال والقداسة على ذات اهل البيت فهم خير أهل الأرض فعلا لأنّهم في أخلاقهم وخصوصياتهم يفوقون البشر. فالإمام عبر هذا الأسلوب ينافح عن البيت النبوي والعلوي

ويجمع الأنصار من حوله لمجابهة نظام الطغاة.

ومن اللافت في النص المتخذ للدراسة تكرار اسم الفاعل بصورة تجعله ظاهرة اسلوبية بارزة. قبل الولوج إلى صلب الموضوع المراد لابدّ من التعريف باسم الفاعل وبيان دلالته. اسم الفاعل ((وصفٌ يشتق من مضارع الفعل المبني للمعلوم لمن وقع منه الفعل أو قام به ويشبه المضارع الذي يشتق منه في أمرين: أحدهما لفظي والآخر معنوي، فمن حيث اللفظ يشبه اسم الفاعل مضارعه في تتابع حركاته وسكناته تمام الشبه. ثمّ إذا أريد باسم الفاعل الحال أو الاستقبال كالمضارع فيكون بذلك قد شابهه في المعنى)). [٤٤]واسم الفاعل يعد صفة في المعنى والصفة هنا تدل على الموصوف بما تحمله من معنى الحدث وهذا ما أشار اليه الزمخشري في قوله ((الصفة هي الإسم الدال على أحوال الذات وذلك نحو طويل وقصير وعاقل وقائم وقاعد)). [٤٥] ويقول فاضل صالح السامرايي إن اسم الفاعل ((يدلّ علي الحدث والحدوث وفاعله)) ويقصد بالحدث معنى المصدر، وبالحدوث ما يقابل الثبوت ف "قائم" ـ مثلا ـ اسم فاعل يدل على القيام وهو الحدث، وعلى الحدوث أي التغيّر، فالقيام ليس ملازما لصاحبه ويدل على ذات الفاعل أي صاحب القيام.[٤٦]

الإمام زين العابدين عليه السلام في معرض فخره بالمنزلة العظيمة التي تتمتع بها العترة النبوية ـ وبخاصة حين يصف الفضائل الإنسانية والكمالات الروحية والعلمية والجسدية لجده الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام ـ يستخدم اسم الفاعل للدلالة على كثرة فاعليتهم بالحياة الاجتماعية والدينية والسياسية (**المحامي، المجاهد، قاطع، مفرّق، قاصم، مبيد، ناصر**) كما أنّ صياغة الألفاظ على اسم الفاعل يفيد التجدد والإستمرارية ايضاً.

((أنا ابنُ صَالِحِ المُؤمنين، ووَارِث النَّبيين وقامع المُلحدين.... أَنَا ابنُ المُحَامي عَن حَرَم المُسلمين وقَاتِلِ المَرقين والنَّاكثين والقَاسطين ...والمُجَاهِد أَعداءَهُ النَّاصبينَ...وقاطعاً لِلأَصلابِ ومُفَرِّقُ الأَحزابِ...وقَاصِم المُعتَدِينَ ومبيد المشركين وناصر دين الله)).

استخدام الإسم الفاعل بشكلٍ مُلح وانتشاره المُكثّف في نص الخطبة، كان من السمات اللغوية التي تميزَ بالحضور البارز والمُلفت، وكان لهذا الحضور البهي، الوافر من الحظ في تعزيز المعني وإثراء الإيقاع الداخي إلى أن استطاع أن يكمن كمية هائلة من الإستعداد لتسرب المعاني واستقرارها في نفوس السامعين.

جاء استخدام الإمام **للإضافة** استخداماً متميّزاً وملفتاً للنظر مما احدث تجاوبا موسيقيا وتنغيما ايقاعيا. الإضافة نسبة اسم إلى اسم آخر واسناده اليه. وقد استقرّ الأمر مؤخرا على أنّ الإضافة، إما تكون بمعنى "اللام" نحو ((كتاب محمد)) أي كتاب لمحمد، أو تكون بمعنى "من" وذلك إذا كان المضاف اليه جنسا للمضاف كـ((خاتم فضة)) أي خاتم من فضة، أم تكون بمعنى "في" وذلك إن كان المضاف اليه ظرفا واقعا فيه المضاف نحو ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (سبأ:٣٣)(٤٧).

((أنا ابنُ صالح المؤمنينَ و وَارث النَّبيينَ وقَامع المُلحدينَ ويعسُوب المُسلمينَ ونُور المُجَاهدينَ وزَين العَابدينَ وتَاج البَكائينَ وأَصبَر الصَّابرينَ وأَفضَل القائمينَ من آل ياسينَ رَسُول ربِّ العَلَمينَ....وأَوَّلُ مَن جَابَ واستَجَابَ لله ولرَسُوله منَ المُؤمنينَ وأَوَّلَ السَّابقينَ.))

يبرز التركيب الإضافي بوضوح عبر الأسطر المذكورة نموذجاً حيث نجده يتكرّر في مختلف أجزاء الخطاب ويعود ذلك لأسس اختيار الإمام الأسلوبية حيث وجد في الإضافة نوعا من التركيب المساعد لإيصال الدلالة. فإضافة ((صالح))، ((يعسوب))، ((نور))، ((زين))، ((تاج))، ((أصبر)) و((أفضل)) مثلا جاءت لزيادة المعنى عمقا وتحديدا إذ تشير إلى تفوق البيت النّبوي علي جميع من يملكون الصفات الحسنة، وكون البيت النّبوي قمة كل فضيلة ومنقبة.

النتائج:

نتائج مبثوثة في ثنايا هذه الدراسة نجملها فيما يلي:

١- وظفَ التعبير الخطابي أصوات الانفجار والجهر والهمس توظيفاً يقصد إلى تصوير المواقف وتشخيصها تشخيصاً يشعرنا بما تحمله هذه الأصوات من دلالات ومعانٍ وأنَّ هذا النظام الصوتي جاء حاوياً تشكيلات صوتية بما فيها من طاقات نغمية وشحنات إيقاعية أَضافت علي النص الخطابي أجواء نفسية مؤثّرة.

٢- تمثل الجمل الإسمية ظاهرة اسلوبية في الخطابة إذ طغى ورودها ووفقا لدلالة الجملة الإسمية على الثبوت والدوام، استخدم الإمام هذه الجمل ليوحي من خلالها بأن

مكانته وشرفه ثابت لم يتغير وإن حاول خدشه حكّام الأمويين وغيرهم من الأعداء. كما أنّ لطغيان الجمل الإسمية في الخطاب دلالة الأخرى وهي استقلاله عن الزمن فالإمام عليه السلام في مقام إشادته بفضائل العترة الطاهرة يستقل عن الزمن، ويوحي بأن منزلتهم السامية لا تنحصر في زمن معين فهي سوف تبقى شامخة وعالية إلى مدى العصور.

٣- تكرّر اسم الفاعل ـ الدال على الحدث والحدوث وفاعله ـ بصورة ملفتة جعل الدارس يعيره اهتمامه ويلتمس آثاره. الإمام زين العابدين عليه السلام في معرض فخره بمنزلة الأسرة النبوية السامية ـ وبخاصة حين يصف الفضائل الإنسانية والكمالات الروحية والعلمية والجسدية لجده الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام ـ يستخدم اسم الفاعل للدلالة على كثرة فاعليتهم بالحياة الاجتماعية والدينية والسياسية.

٤- بما أن موضوع الخطابة جاء في معرض تعريف الإمام **بشخصه وهويته** وبالأسرة النبوية وما لها من عظيم الفضل والشأن عند الله تعالى وما قامت به من اعمال جهادية في سبيل احقاق الحق جنح الإمام إلى توظيف اسلوب الوصف. فكل المواصفات الفاضلة التي ذكرها الإمام في خطبته تجعل منهم مثلا أعلى في الأخلاق وقمة سامقة في الايمان والإصلاح وتضفي الجلال والقداسة على ذات اهل البيت. فالإمام عبر هذا الأسلوب ينافح عن البيت النبوي والعلوي ويجمع الأنصار من حوله لمجابهة نظام الطغاة.

هوامش البحث

(١) الأسلوب دراسة لغوية إحصائية/ ٣٧ ـ ٣٨

(٢) style

(٣) الأسلوب/ ٤٠

(٤) الأسلوبية و الأسلوب/ ٧٧

(٥) دراسة الأسلوب بين المعاصرة و التراث/ ١٨
(٦) البلاغة و الأسلوبية / ١٨٥
(٧) المعجم الأدبي/ ٢٠ ـ ٢١
(٨) المنهج الأسلوبي في دراسة النص الأدبي/١١٣
(٩) إعجاز القرآن و البلاغة و النبوية/ ١٦٩.
(١٠) أصوات اللغة العربية/ ١٥.
(١١) المنهج الصوتي للبنية العربية/ ٢٦
(١٢) لمحيط في الأصوات العربية و نحوها و صرفها/٢١٣
(١٣) المنهج الصوتي للبنية العربية/ ٢٦
(١٤) cosonant
(١٥) vowel
(١٦) خصائص الحروف العربية/ ٢٧
(١٧) الأصوات اللغوية/ ٢٢
(١٨) نفس المصدر/ ٢٢
(١٩) نفس المصدر
(٢٠) لسان العرب/ مادة شد
(٢١) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية/ ١١٥
(٢٢) نفس المصدر/ ١١٩
(٢٣) plosive
(٢٤) خصائص الحروف العربية /٢٩
(٢٥) علم الأصوات/٢٤٧ ـ ٢٤٨
(٢٦) liquids
(٢٧) fricatives
(٢٨) خصائص الحروف العربية/٢٩
(٢٩) الأصوات اللغوية/ ٢٦
(٣٠) علم الأصوات/٢٤٧
(٣١) الأصوات اللغوية/٤٧
(٣٢) حول معاني حروف المعاني و اصول استعمالها/ ٨٤
(٣٣) خصائص الحروف العربية/ ٢.
(٣٤) حول معاني حروف المعاني و اصول استعمالها/ ٨٤

(٣٥) خصائص الحروف العربية/ ٦٢ ـ ٦٣.
(٣٦) الأصوات اللغوية/٥٨.
(٣٧) علم الأصوات/٣٤٩
(٣٨) الأصوات اللغوية/٨٠
(٣٩) همان/٨٦
(٤٠) حسن عباس، حول معاني حروف المعاني و أصول استعمالها، / ٨٨
(٤١) الأسد، استعارة من حمزة رحمه الله.
(٤٢) اللغة العربية معناها ومبناها/١٧٨
(٤٣) علم الدلالة دراسة نظرية و تطبيق/٤٣
(٤٤) المدخل الي علم النحو و الصرف/٨٣
(٤٥) شرح المفصل/٣/٤٦.
(٤٦) معاني الأبنية في العربية/٤١.
(٤٧) معاني النحو/ ٣ / ١١٧ ـ ١١٨.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب:

١- القرآن الكريم

٢- إعجاز القرآن والبلاغة والنبوية/مصطفى صادق الرافعي/١/دار منار/مصر/ القاهرة/ ١٩٩٧.

٣- أصوات اللغة العربية/ عبد الغفار حامد هلال/١/ مكتبة وهبة/ مصر/ القاهرة/ ١٩٩٦م.

٤- الأسلوب دراسة لغوية احصائية/سعد مصلوح/١/عالم الكتب/مصر/ القاهرة/ ١٩٩٢م.

٥- الأسلوبية والأسلوب/عبد السَّلام المسدي/١/الدار العربية للكتاب/دون مكان/لا تا.

٦- الأسلوب/احمد الشايب/www.lib.eshia.ir

٧- الأصوات اللغوية/إبراهيم أنيس/١/ مكتبة نهضة مصر ومطبعتها /مصر/ القاهرة/ لا تا.

٨- البلاغة والأسلوبية/محمد عبد المطلب/١/مكتبة لبنان ناشرون/لبنان/بيروت/١٩٩٤.

٩- خصائص الحروف العربية ومعانيها/ حسن عباس/١/ منشورات اتحاد الكتاب العرب/ دون مكان/ ١٩٩٨.

١٠- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث/احمد درويش/١/دار غريب/مصر/القاهرة/لا تا.

١١- شرح المفصل/ ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي)/ ٣/ عالم الكتب/ لبنان/ بيروت/ لا تا.

١٢- علم الأصوات/ كمال بشر/١/دار غريب/مصر/ القاهرة/ ٢٠٠٠م.

١٣- علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيق/ فريد عوض حيدر / مكتبة النهضة المصرية/ مصر/قاهرة/١٤١٩ق.

١٤- لسان العرب/ ابن منظور/ ١٥/ أدب الحوزة/ايران/ قم/ ١٤٠٥هـ.

١٥- اللغة العربية معناها ومبناها/ تمام حسّان/ عالم الكتب/ مصر/ القاهرة/ ١٩٩٨م.

١٦- المعجم الأدبي/جبور عبد النور/١/دار العلم للملايين/لبنان/بيروت/١٩٨٤.

١٧- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية/عبد العزيز الصيغ/١/ دار الفكر المعاصر/ لبنان/ بيروت/ سورية/ دار الفكر/دمشق/ ٢٠٠٠م.

١٨- معاني الأبنية في العربية/ فاضل صالح السامرائي/١/ دار عمار/ عمان ـ اردن/ ٢٠٠٧م.

١٩- المدخل إلى علم النحو والصرف/ عبدالعزيز عتيق/ ١/ دار النهضة العربية/ لبنان/ بيروت/ ١٩٧٤م.

٢٠- المنهج الصوتي للبنية (رؤية جديدة في الصرف)/شاهين عبد الصبور/١/مؤسسة الرسالة/ لبنان/ بيروت/ ١٩٨٠.

٢١- المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها/ محمد الأنطاكي/٣/دار اشرق العربي/لبنان/ بيروت/ لا تا.

٢٢- معاني النحو/ فاضل صالح السامرائي/٤/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ عمان/ ٢٠٠٠م.

المقالات والمجلات

٢٣- حول معاني حروف المعاني واصول استعمالها/ حسن عباس/ اللسان العربي/٣٩٢/ ١٩٩٦م.

٢٤- المنهج الأسلوبي في دراسة النص الأدبي/ خليل عودة/مجلة النجاح للأبحاث/٨/١٩٩٤م.